رفاعة الطهطاوي ومنهجه في التأليف

دراسة في كتابه مناهج الألباب المصرية

للدكتور

السيد علي حسن

كلية الآداب بسوهاج - جامعة أسيوط

رفاعة الطهطاوى فى سطور

- ولد رفاعة رافع الطهطاوى فى طهطا إحدى مدن صعيد مصر سنة ١٨٠١ م واقترن مولده فى تلك السنة بجلاء الحملة الفرنسية عن مصر وانتصار إرادة الشعب. وكانت وفاته فى سنة ١٨٧٣ م فى أواخر عهد اسماعيل .
- وتلقى العلم فى الأزهر حيث قضى به خمس سنوات وكان من حسن حظه أن يكون تلميذا للشيخ المستنير الأديب حسن العطار (١) الذى كان قد اتصل بعلماء الحملة الفرنسية عندما نزلت بمصر وأخذ عنهم بعضا من علومهم ولقنهم العربية ، وتنبأ العطار لمصر بنهضة علمية تنهج فيها النهج الذى رأى عليه الفرنسيين وكانت لرفاعة منزلة خاصة عند أستاذه الشيخ حسن العطار . يقول عنه على مبارك : " وله - رحمه الله - منزلة خاصة عند الشيخ حسن العطار ، فكان يشترك معه فى الاطلاع على الكتب العربية التى لم تكن تتداولها أيدى علماء الأزهر " . (٢)
- وعمل رفاعة بعد تخرجه فى الأزهر مدرسا بتلك الجامعة الإسلامية العريقة بمقدرة تامة وكفاءة نادرة . " وكان - رحمه الله - حسن الإلقاء بحيث ينتفع بتدريسه كل من أخذ عنه . وقد اشتغل فى الجامع الأزهر بتدريس كتب شتى فى الحديث والمنطق ، والبيان والعروض ، وغير ذلك " (٣)
- وقد رشح الشيخ حسن العطار رفاعة إماما لأول بعثة علمية سافرت إلى فرنسا فى عهد محمد على سنة ١٦٢٦ م ، وأوصاه أن يسجل مشاهداته

---

(١) من علماء الأزهر " كان محررا للوقائع المصرية أول ظهورها ، ثم صار شيخا للأزهر ، وكان شاعرا وكاتبا بليغا وكان يتسم برجاحة العقل وسعة الأفق وحب الرحلات ، توفى سنة ١٢٥٠ هـ .

(٢) الخطط التوفيقية لعلى مبارك جـ ١٣ ص ٥٤ .

(٣) حلية الزمن بمناقب خادم الوطن لصالح مجدى ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٠٢٦ تاريخ .

فى هذه الرحلة ، وبر رفاعة بوعده فسجل كل مارآه فى باريس فى كتابه المشهور " تخليص الإبريز فى تلخيص باريز " وهو الكتاب الذى كان ذا أهمية بالغة فى تطور مصر سياسيا وفكريا .

ـ وأمضى رفاعة نحو خمس سنوات فى باريس وهو دائب على تعلم اللغة الفرنسية وترجمة بعضها إلى اللغة العربية ، كما قرأ الكثير من الكتب فى مختلف العلوم والأدب والفنون . " فلما عاد بدأت نهضة علمية ملحوظة كان لها أثرها فى كل مرفق من مرافق الحياة العامة فى مصر "(١) .

ـ وكان رفاعة موسوعة فكرية وثقافية وإنسانية . وكانت أعماله العظيمة تعبر عن إحساسه بالمسئولية نحو وطنه وعروبته ؛ فهو ينظم الأناشيد الوطنية ، ويبرز اللغة العربية والتراث العربى فى صحيفة الوقائع المصرية وفى مجلة روضة المدارس ، ويترجم ويؤلف فى شتى فروع المعرفة ، فى النحو والأدب والبلاغة والحديث والفلسفة وعلم الكلام ، والاجتماع والسياسة ، والتربية والتاريخ والجغرافيا ، والحساب والهندسة والكهرباء والقانون والطب والفنون الحربية وعلم المعادن ، ويضع المصطلحات العلمية وينظم الأعمال الصحفية ويشرف على وسائل التعليم .(٢) وكان أخلد أعماله إنشاء مدرسة الألسن سنة ١٨٣٥م التى نشأت جيلا من المترجمين الأكفاء .

ـ وكان رفاعة مولعا بالأدب منذ نشأته وحين كان طالبا مبتدئا بالأزهر فانكب على قراءة الأدب العربى وحفظ الكثير منه شعرا ونثرا ، كما أفاد من اطلاعه على الأدب الفرنسى ونقل إلى العربية ما أعجبه من الشعر الفرنسى مثل القصيدة الباريسية ونشيد الثورة الفرنسية "المارسيليز" ، وترجم ماراقه من النثر الفرنسى مثل الرواية الشهيرة " مواقع الأفلاك فى وقائع تليماك "(٣) التى ترجمها وهو بالسودان .(٤)

---

(١) مهرجان رفاعة سنة ١٩٥٨ طبع المجلس الأعلى للفنون والآداب ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق انظر التقديم .

(٣) السابق ، انظر مقالة د . أحمد أحمد بدوى ص ١٢٩ .

(٤) يذكر رفاعة أنه أبعد إلى السودان بسعى بعض الأمراء بوسيلة نظارة مدرسة بالخرطوم (مناهج الألباب المصرية ص ٢٦٥) .

- وقد تقلد رفاعة العديد من الوظائف فاشتغل مترجما بمدرسة الطب، وأسند إليه الإشراف على المدرسة التجهيزية للطب، واشتغل مترجما بمدرسة المدفعية، وتولى إدارة مدرسة الألسن، ثم رئاسة قسم الترجمة الذى أنشأه سنة ١٨٤١م، وعين عضوا دائما "بقومسيون المدارس" .(١)

- وتربو مؤلفات رفاعة على سبعة عشر كتابا فى مختلف العلوم والفنون كماجاء فى إحصائية للأستاذ صالح مجدى فى كتابه "حلية الزمن بمناقب خادم الوطن" .

وأشهر مؤلفات رفاعة المتعلقة بالأدب هى : مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية، وتخليص الإبريز فى تلخيص باريز، والمرشد الأمين للبنات والبنين .(٢)

---

(١) هو المجلس الذى كان يختص بالنظر فى السياسة العليا للتعليم ويضع النظم والقوانين والبرامج للمدارس .

(٢) ضمن رفاعة كتابه "المرشد الأمين للبنات والبنين" كثيرا من آرائه وأفكاره فى مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

رفاعة المؤلف الموسوعى ومنهجه

التزم رفاعة فى كتابه "مناهج الألباب المصرية" منهجا يمثل جوهر المنهج الذى التزمه فى تأليف كتبه الأخرى المتصلة بالأدب فقد صدره بتمهيد أشار فيه إلى الغرض من تصنيف هذا الكتاب وخلته فى تأليفه فقال :

" ولما كان من الواجب على كل عضو من أعضاء الوطن أن يعين الجمعية بقدر الاستطاعة، ويبذل ماعنده من رأس مال البضاعة، لمنفعة وطنه العمومية، وينصح لبلاده ببث مافى وسعهم من المعلومية ... فلهذا بذلت المجهود لبيان الغرض والمقصود، بتصنيف نخبة جليلة وترصيف تحفة جميلة فى المنافع العمومية التى بها للوطن توسيع دائرة التمدنية، اقتطفتها من ثمار الكتب العربية اليانعة، واجتنيتها من مؤلفات الفرنساوية النافعة، مع ما سنح بالبال وأقبل على الخاطر أحسن إقبال . وعززتها بالآيات والأحاديث الصحيحة والدلائل المبينات، وضمنتها الجم الغفير من أمثال الحكماء وآداب البلغاء وكلام الشعراء من كل ما ترتاح إليه الأفهام، وتنزاح به عن الذهن الأوهام، وتتأيد به السعادة، وتتأبد به السيادة، وبالجملة فقد أودعتها مايكون لأهل الوطن فخرا ويعقبه النجاح دنيا وأخرى، وسميتها مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية "(١)

وقد أهدى رفاعة هذا الكتاب لولى العهد محمد توفيق لما بدا منه من حب الوطن ورعايته لجمعية العرفان " حيث حلى جيدها بعقود المنة وجعل حصين حماه لها وقاية وجنة "(٢)

ويتضح من هذا أن رفاعة قصد من تأليف هذا الكتاب أن يسهم كمواطن

صالح فى خدمة وطنه والنصح له بكل مافى وسعه من معلومات ومعارف حتى يعود لمصر عزها القديم ومجدها الأثيل .

وقد كان الشيخ شديد الحب والإعزاز لمصر " فهى أرض الشرف والمجد فى القديم والحديث ، وكم ورد فى فضلها من آيات بينات وآثار وحديث ، فما كأنها إلا صورة جنة الخلد منقوشة فى عرض الأرض بيد الحكمة الإلهية التى جمعت فيها ، واسعة الرقعة طيبة البقعة ، كأن محاسن الدنيا عليها مفروشة وصورة الجنة فيها منقوشة .

واسطة البلاد ودرتها ووجهها وغرتها ... موصوفة عند الجميع بالشجاعة والحماسة والكياسة والرئاسة فضلا عن الذكاء والفطنة ولطافة العوائد والأخلاق " (٣)

يقول الدكتور جمال الدين الشيال : " وهناك صفة هامة من صفات رفاعة تستحق الالتفات والتسجيل ، فقد كان فيها الرائد الأول للمصريين جميعا فى العصر الحديث تلك هى عاطفة الوطنية القوية ، كان رفاعة يحب مصر حبا قويا ملك عليه نفسه وكان الدافع له إلى الإخلاص فى عمله ، والتفانى فى أداء واجبه ، وقد تغنى بهذا الحب

---

(١) مناهج الألباب ص ٤ ، ٥ .

(٢) مناهج الألباب ص ٧ .

(٣) المرشد الأمين للبنات والبنين ، لرفاعة الطهطاوى الفصل الرابع .

كثيرا فى شعره" (١) كما تبدو هذه العاطفة فى كتبه المختلفة .

وكتابه " مناهج الألباب " وإن كان إلى التاريخ أقرب وبه أشبه إلا أن رفاعة - وهو المثقف الموسوعى - جميع فيه أطراف الفنون والأدب طريفه وتليده وقريبه وبعيده، فبينما يخيل للقارئ أنه بين مواقع الصفاح ووقائع الحرب والكفاح إذ يتراءى له أنه بين محاضرات الآداب ومسامرات الخلان والأحباب". (٢)

ولهذا يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة " وهكذا تذكرنا كتب الطهطاوى التى من هذا النوع بالكتب الأدبية الإسلامية التى أثرت عن مثل الجاحظ وغيره من كتاب القرون الثانى والثالث والرابع للهجرة، فهى أشبه ماتكون بالسديم الذى يحدثنا عنه الجغرافيون قبل أن تنفلت منه الكواكب السيارة المعروفة".

فقد مزج المؤلف فى هذا الكتاب بين خبر تاريخى وحديث نبوى وآية قرآنية ومقطوعة شعرية وجزء من خطبة ونادرة من النوادر، وشىء من الحساب وآخر من الطب، وثالث من العروض والنحو، ورابع فى الأخلاق، وخامس فى الوقائع والحروب، وسادس فى الأسفار والسياحات واختراعات العرب وكتبهم فى الفقه وفى الأدب لفنونه

---

(١) رفاعة رافع الطهطاوى ، طبعة ثانية ص ٥٤ .

(٢) مناهج الألباب المصرية ص ٤٤٨ .

المعروفة "(١) .

والكتاب يقع فى أربعمائة وخمسين صفحة من القطع العادى. (٢)

وقد ألفه رفاعة فى أخريات حياته سنة ١٨٧٠ وقسمه إلى مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة :

فالمقدمة : فى ذكر الوطن وماقاله فى شأن تمدنه أرباب القطن، وفيها يصف مصر ويذكر إعانة المنافع العمومية (٣) على التمدن، ويفاضل بين الفلاحة والملاحة، ويرغب فى حب الوطن، ويذكر بر مصر لبنيها وغيرهم، وخيرها وبركاتها، كما يذكر اختلاف أسباب المواد وتشعب المكاسب وأقسامها، واختلاف أحوال المنافع العمومية .

والباب الأول : فى بيان المنافع العمومية من حيث هى وفى موادها ومايتعلق بها، وفيه أربعة فصول :

الأول : فيما تطلق عليه المنافع العمومية وفيه يحث على المروءة، ويعرف بالصدقة الجارية، وينفر من البخل، ويذكر نظام المرتبات فى مصر وكيف أقرها السلطان سليم الأول، وتنظيمها بأسلوب جديد فى عهد محمد على وخلفائه، ويوضح ماهية العلم النافع وفضائل العلوم المختلفة، كالعلوم الشرعية والحساب والكتابة ويحث على الاجتهاد فى طلب العلم ومدحه، وينبه إلى ضرورة الانتفاع بالذرية والتعهد بها، والاهتمام بتربية الأولاد وبر الأبناء لآبائهم .

---

(١) أدب المقالة الصحفية للدكتور عبد اللطيف حمزة ج ١ ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) قام بتحقيقه السيد محمد رفاعة بطبعه سنة ١٩١٢ بمطبعة الرغائب بمصر إحياء لذكرى جده .

(٣) [illegible]

والثانـــــ

فى أهميـــة العمل فى إبراز المنافـع وفى تطبيقـه على الأرض الزراعيـة وبيـان منابـع الثـروة وطـرق الحـرث والزرع، واحتياج الزراعـة لأكثر الصناع وبالعكس .

والثالـث :

فى تقســيم الأعمال إلى منتجـة للأموال وغير منتجـة لهـا، وبيـان الفـرق بـين العـامل والخادم، وحكـم التعيـش من مرتبـات الموظـفين .

والـرابـع :

فى مدح السـعى والعمل وذم البطالـة والكسـل، وفيـه حث على التجديـد والابتكـار وإشـارة إلى مواظبـة قدماء مصـر على العمـل، ونفورهـم من البطالـة والكسـل، وتصـوير لشـخص الكسـل بصـور مختلفـة منفـرة كتمثيـل المشـتغل والكسـلان بصـرار ونمـلة .

والباب الثانـى : فى تقسـيم المنافـع العموميـة إلى ثـلاث مراتب أصليـة وهى الزراعـة والتجارة والصناعة، ووزعـه على أربعـة فصـول :

الأولـ : فى تعـريف المنافـع العمومية بالمعنى العرفى الصناعى (١) وتعريف الفضيلـة وبيـان أركانهـا وأقسـامهـا وكيف يتولـد الغـنى والتجارة الخارجيـة وتقدم المنافـع فى عصـر رفاعـة .

والثانـى : فى وصـف حالة المنافع العمومية فى الأزمنـة القديمـة، وما وقـع فى تلك الأزمنـة من حـروب وغزوات، مثل حروب رومـا مع قرطاجنـة

---

(١) تعرف بأنها فـن الأعمال والحركات المساعدة على تكثير الغنى والثروة وتحصيـل السـعادة البشرية، فتشـمل الزراعة والتجارة والصناعة وتقديمهـا فتكون مجمـع الفضـائـل فى اصطـلاح الإدارة الأوربيـة .

وحروب روما مع مقدونيا وغزوة تبوك التى يقال لها غزوة العسرة .

والثالث :

فى أن الأسفار والسياحات مما يعين على تقدم المنافع العمومية وسياحة العرب فى الأرض قديما ، وثبوت فضل العرب على غيرهم بالتواتر فى أغلب الخصال الحميدة ، وحديث عن مدينة سبأ وحضارتها وما يتعلق بها ، وسفر النبى صلى الله عليه وسلم إلى الشام فى تجارة لخديجة رضى الله عنها ، وما حدث له من خوارق العادات ، وسفر موسى عليه السلام إلى مدين واجتماعه بشعيب وما جرى بينهما ، وبيان ثمرة الشفقة .

والرابع :

فى أن الصوريين وهم أهم سواحل الشام قدموا فى سالف الأزمان التجارة والعلوم البحرية على وجه نافع ، وسبق العرب فى اختراع بيت الإبرة وصناعة الساعات ، وأن الصوريين هم أول من اكتشف الصباغة باللون الأحمر الأرجوانى وحروف الهجاء التى نقلها عنهم اليونانيون ، وبيان فضل الكتابة .

والباب الثالث :

فى تطبيق أقسام المنافع العمومية فى الأزمنة القديمة على مصر ، وفيه أربعة فصول :

الأول :

فى تقدم مصر وغناها فى عدة أزمان سابقة ، وحضارة كل من مصر والعراق قديما ، وكيف تأسست مدينتا بابل ونينوى ، وما كانت عليه مدينة منف فى القديم ، وأساس التمدن ، وسياسة مصر قديما ، وتوزيع الأراضى

بها وسياستها العسكرية وترتيب مجالس القضاء بها والمعاقبة على الذنوب عند قدماء المصريين، والبحث عن وجوه الصين .

والثانى :

فى تقدم مصر وامتيازها بالمعارف فى الزمن القديم، وماوقع ليوسف عليه السلام وتدبيره لغلال مصر واستنباط علو درجة مصر من قصته، وعيد فرعون السنوى ودلالته على التمدن .

الثالث :

فى أن أعظم وسائل تقدم الوطن فى المنافع العمومية رخصة المعاملة مع أهالى الممالك الأجنبية، واعتبارهم فى الوطن كالأهلية، وجهود الملك أبسا ميطيقوش ملك مصر فى ازدهار التجارة فى الداخل والخارج، وفتح الملك أماسيس ثغور مصر للأجانب وإكرام مثواهم لإسعاد رعيته بالثروة والغنى، وماقيل فى الحظ ومساعدته للإنسان، ومناقب الحكيم اليونانى سولون وقوانينه .

الرابع :

فيما ترتب على فتح الإسكندر الأكبر لمصر من اتساع دائرة المنافع العمومية الناتجة عن الحزم والكياسة والعدل فى التدبير والسياسة، وأن من مظاهر التمدن فى عصره مقبرته ومنارة الإسكندرية المعدودة من عجائب الدنيا، ومكتبة الاسكندرية، وتقدم الملاحة والأسفار البحرية فى عهد بطليموس الأول، وامتلاء خزائن مصر بالذخائر، واستيلاء السلطان سليم الأول على مصر، ثم تغلب الفرنسيين عليها، ثم استخلاص محمد على مصر من قبضة المماليك .

والباب الرابع :

فى التشبث بعود المنافع العمومية إلى مصر فى عهد محمد على، وقسمه إلى أربعة فصول :

الأول :

فى مناقب محمد على والمقارنة بينه وبين عدد من مشاهير ملوك عصره، وفتوح السلطان سليمان وإرساله عمارة بحرية إلى فرنسا لنجدة ملكها، وإبلاغ عصر لويس الرابع عشر أوربا درجة الكمال، وتجديد الوزير الفرنسى كولبرت المنافع العمومية، وجلبه خصائص المصنوعات الأجنبية ومحاسنها لوطنه .

الثانى :

فى حرص محمد على على منافع مصر العمومية والنهوض بها، وكون الفلاحة هى منبع ثروة مصر الحقيقى، ورأى نابليون فى تحسين أراضى مصر واستغلالها وتكثير أهلها، وماقام به محمد على لإحياء مافى مصر من الموات بإنشاء ترعة المحمودية، وتكثير المحصولات بجعل الأراضى رواتب، وإزالة الموانع الطبيعية الموجبة لتقليل أراضى الزراعة .

الثالث :

فى أهتمام محمد على البالغ بمنافع مصر العمومية وتقدمها على يديه فى زمن يسير، وبناء القناطر الخيرية وشق الترع والرياحات، وإرسال بعثة لاكتشاف منابع النيل، وإنشاء المدارس المصرية .

الرابع :

فى سفر محمد على إلى جبال فازغلو بالسودان لاكتشاف المعادن بها، وإرشاده أهل السودان إلى وسائل الزراعة وغيرها، وسفر رفاعة إلى السودان، ونظمه قصيدة تشير إلى أحوال تلك البلاد وعوائدها وتخميس القصيدة البرعية التى مطلعها :

" خَلِّ الغَرامَ لِصَبٍّ دَمْعُهُ دَمُهُ "

والباب الخامس :

فيما تم فى عهد محمد على وخلفائه من إصلاحات، ووزعه على فصول أربعة :

الأول :

فى ذكر تقدم مصر وغناها فى عهد محمد على ومن تولى بعده، وتوسيع المشارع والمسالك .

الثانى :

فى ذكر ملحوظات عامة تتعلق بالديار المصرية أبداها بعض من أرخ مصر من أرباب السياحة [1] وبيان حالة الأراضى الزراعية آنذاك فى مديريات : البحيرة وروضة البحرين والشرقية والجيزة والقليوبية والفيوم وبنى سويف والأطفيحية والمنيا وأسيوط وجرجا ، وصلاحية أرض الصعيد الأعلى لزراعة شجرة البن ، وتربية أغنام المارينوس بأودية الفيوم، وتحسين سلالات الخيول فى الفيوم والشرقية، وتحويل مصر إلى حالة مستحسنة فى نحو عشرين سنة .

---

(١) ومضمونها أن خصوبة أرض مصر واعتدال جوها يؤذنان باستعدادها للوصول إلى السعادة والثروة .

الثالث :

فى بلوغ المغافع العمومية درجة كبيرة من الرقى فى ذلك العهد، وطرق زراعة القطن وشجر التوت وتربية دود القز، وتحسين زراعة الأرز، وزراعة قصب السكر فى مديرية المنيا، وصناعة الصوف، والعناية بتربية الماشية لا سيما تربية الغنم، وورود قوافل أفريقية إلى مصر للتجارة.

الرابع :

فى إسعاد الحاكم للبلاد والعباد، وتأسيس مجلس شورى النواب، وأن صرف الهمة إلى الصناعة يقطع عروق الفتن والشرور، وتنظيم البريد وحمام الرسائل ومراكزه بالديار المصرية، وصناعة الثلج ومراكزه فى مصر، ومواضع المناور فى مصر لمعرفة الأخبار، والسياسة وأقسامها، وأن ملمح نظر مصر التمدن بالأعمال الرابحة.

وفى الخاتمة :

أفاض المؤلف القول فى واجبات المواطن الصالح نحو وطنه، وقسمها إلى أربعة فصول :

الأول :

فى ولاة الأمور، وفيه بيان علاقة الحكام بالمحكومين، وأركان الحكومة وقواعدها، وأهمية الرأى العام فى حمل ولاة الأمور على العدل، وضرورة التدريب على أصول الوظيفة قبل شغلها، وبيان وظائف المجالس والدوائر البلدية والحقوق المدنية، وكون الأحكام الإسلامية مقتضية تسوية جميع الناس فى العدل والإنصاف، وترتيب وظائف العمد ومشايخ البلاد.

الثانى :

فى طبقة العلماء والقضاة وأمناء الدين، وبيان قدر منصب القضاء، واجتماع منصب القضاء ونقابة الأشراف فى أسرة رفاعة، واقتضاء الأحوال والمعاملات

العصرية تنقيح الأقضية والأحكام الشرعية بما يوافق مزاج العصر بدون شذوذ .

وانتخاب القضاة وآداب القاضى ووصاياه، والتسامح الدينى مع أهل الكتاب ومعاشرتهم .

الثالث :

فى طبقة الغزاة والمجاهدين ويشتمل على مايجب على المحارب من الشهامة ومشاورة العلماء أولى التجارب، وتعريف الشجاعة وكونه صلى الله عليه وسلم أشجع الناس قلبا ، ومن اشتهر بالشجاعة ومن جميع فضيلتى الشجاعة والرأى ، وكون أمراء الجيوش هم نواب ولى الأمر فى الجهاد وفى عقد العقود والوفاء بالعهود ، وذم التجرد عن الشفقة والمرحمة بعد التمكن فى حق الأسرى .

الرابع :

فى طبقة أهل الزراعة وأن كمال المنافع العمومية فى تشكيل شركات فرعية وتأسيس الدوائر البلدية لراحة الرعية، وأصل الهوارة وتوطنهم بالصعيد ، وأنه ليس كل مبتدع مذموم فالمبتدع النافع يقع موقع الاستحسان .

وفضلا عن ذلك فقد اشتمل الكتاب على كثير من الخطب والرسائل النثرية والقصائد الشعرية التى تمتزج بطباع الأدباء رقة وتسترق خواطر الفضلاء بلاغة ورفعة .

وعندما نطالع هذا الكتاب نجد فيه فكرا وثقافة للمفكر فى الاقتصاد والاجتماع والسياسة، وفكرا للفلاح فى الزراعة والتربة والثروة الحيوانية والسمكية وتربية دود القز وميزات الصنف الذى تعطيه أغنام المارينوس، وفكرا وثقافة للطبيب وللمهندس المعمارى، وثقافة للعسكريين والمدنيين على السواء، وزادا للبسطاء وللمتفلسفين وللحاكمين والمحكومين ... لأن الرجل كان محترفا لصناعة التمدن

والحضارة بمعناها الشامل وليس مجرد مثقف تنصرف اهتماماته وتنحصر في فن من الفنون أو علم من العلوم (١).

والكتاب دراسة اجتماعية لمصر في عهد محمد على وخلفائه ، جمع فيه رفاعة كل ما يتعلق بمدنية مصر وأحوالها السياسية والمعاشية ، وما كانت عليه من الفنون والصناعات والمخترعات ، وما وصلت إليه من التقدم والرقى، وبحث فيه عن الأسباب التى ساعدت على انتشار المدنية ، وما أحدثه المصريون من الآراء والتعديلات فى قوانين البلاد ، وما يجب على كل مواطن نحو وطنه حتى تتحقق له السعادة والرفاهية .

والمؤلف شخصية عظيمة مقربة من الحكام ، وقد روى بنفسه الكثير من أخبار محمد على وخلفائه ، كما أنه عاصر كثيرا من الأحداث والشخصيات التى تحدث عنها ، وكل هذا يقتضى صدق الرواية والتثبت منها ، والمؤلف لم يبعد عن الحيدة فيما قال ولم يجامل على حساب الحقيقة التاريخية أو العلمية .

ومما يحمد له أنه تأثر فى سرد الأحداث التاريخية والاجتماعية بمنهج العلوم الطبيعية الذى يقوم على استنباط النتائج من المقدمات . وقد جاء فى الكتاب أن "من أشرف مزاياه التى قلما توجد فى غيره أنه لا يقتصر على حكاية الوقائع التاريخية بل نراه يمهد للقارىء سبل استخراج النتائج من الحوادث ويقدم له المقدمات التى تساعده على إعمال الفكرة وترقية القريحة" (٢) .

بيد أنه يؤخذ عليه أنه لم يفصح عن المصادر والمراجع التى اعتمد عليها فى روايه الأحداث التى لم يعاصرها ولم يشاهدها بنفسه كحروب روما مع قرطاجنة وحروبها مع مقدونيا — مثلا — إذ يقول :

" ومن المعلوم من التاريخ أن الدولة الرومانية كانت فى تلك الأزمان مقارنة ومعاصرة لدولة القرطاجنية أى التونسية فكان كل من الدولتين منافسا للآخر وكانت

(١) انظر الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى لمحمد عمارة جـ ١ ص ٦٨ ، ٦٦ .
(٢) مناهج الألباب ص ٤٤٨ .

العداوة الفاشية بينهما شديدة ، ولا تكاد الحرب تنقطع بينهما للمجاورة والمنافرة والمنافسة". (١)

ويقول :

" فقد ذكر المؤرخون أنه كان لرومية حرب مع مملكة متدونيا فى بلاد روم إيلس " .

وتبدو ثقافة رفاعة العلمية الواسعة فى هذا الكتاب فهو حين يتحدث عن زراعة القطن وشجر التوت وتربية دود القز وأمثال المارينوس الأندلسية يتحدث عنها حديث العالم الخبير المجرب ، فهو يقول مثلا عن زراعة القطن :

" وأما زراعة القطن فتحتاج إلى زيادة بسط الكلام والتوفية بالمراد ، لأنها من أنفع المواد للديار المصرية لدخولها قديما وحديثا فى الصنائع البلدية . ومع أن أرباب زراعتها بأرياف مصر لهم خبرة تامة بغرسها ومباشرتها فلا بأس بذكر بعض مسائل تتعلق بذلك مما هو جار فى شأن زراعة القطن فى البلاد الأجنبية ليكون به كمال المعلومية " (٢) .

ويمضى رفاعة فينقل لنا خبراته وما أفاده عن زراعة القطن فى أوربا ، فيحدثنا عن أجود المناطق لزراعة القطن والأمور التى يجب أن تراعى عند غرس شجيرات القطن ، وضرورة بعدها عن النابات والجبال والتلول حتى تتعرض لأشعة الشمس ومقدار مسافة البعد المطلوب بين ساق كل عود مع العود المجاور له ، والعمق الذى تصل إليه ، وحرث الأرض وإزالة ما بها من آثار النباتات الطفيلية والحشائش ، وبيان تسميد الأرض المهيأة لزراعة القطن ، وزمن بذر القطن وأطوار نمو شجرة القطن ، والاعتناء بها فى أثناء نموها ، وتعهدها بالسقى والرعاية حتى اكتمال النضج .

ويقول فى حديثه عن شجرة التوت وتربية دود القز :

" وأما غرس شجرة التوت وتربية دود القز بالديار المصرية فيحتاج أيضا إلى

---

(١) مناهج الألباب ص ١٢٧ ، ١٤٢ .

(٢) نفسه ص ٢٦٦ وما بعدها .

بعض إطناب فنقول : إن من المعلوم أن التوت مألوف الفرس عند العرب ويسمى الفرصاد ، قال ابن وحشية صاحب الزراعة : التوت أنواع يخالف بعضها بعضا فى الطعم والطبع وفيه ألوان فمنه الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأغبر، وكذلك طعمه فيه الحلو والمر والتفه، وأكثر مايتخذ غرسا وتحويلا، وأجود ما ينبت منه ما أكله بعض الطيور الموجودة فى البساتين »(١)

ويتابع رفاعة الحديث عن زراعة شجر التوت، والتربة الصالحة لزراعته، وعدد مرات السقى والتسميد اللازمة لنموه، وأهميته فى تقدم البلاد، مما يدل على معرفته الأكيدة وخبرته الواسعة فى هذا المجال .

وقد أحسن المؤلف اختيار النصوص النثرية والشعرية الملائمة للموضوعات والتى تصور أحداث العصر وروحه، وتنم عن مقدرة أدبية وذوق أدبى رفيع، بيد أنه لم يذكر المصادر والمراجع التى استقى منها هذه النصوص حتى يسهل الرجوع إليها .

وقد اتبع رفاعة الأسلوب القديم فى التأليف ولم يحفل بالرواة وتحليل شخصياتهم وبيان مدى صدقهم فى الرواية، كما أنه لم يهتم كثيرا بذكر أصحاب النصوص التى يوردها، بل كان يقول مثلا : روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال . وقال الشاعر، وقال . آخر، وقال غيره، وقال بعضهم، وسئل بعض الحكماء، وقال بعض الظرفاء، ولله در القائل فى هذه المعانى .

بل إنه عندما يستشهد بآيات من القرآن الكريم لا يذكر أسماء السور مما يصعب معه على غير من يحفظ هذه السور الرجوع إليها، كما نرى ذلك مثلا فى استشهاده بآيات بينات على أهمية العمل ، فى النص الثانى من الباب الأول (١) .

وتبدو لنا براعته وقدرته على التذوق وحسن الاستطراد في مثل قوله في حديثه عن التسامح الديني مع أهل الذمة، إذ يقول معقبا: "وما أحسن قول بعض الظرفاء:

يَقُولُونَ نَصْرانيَّةٌ أُمُّ خَالِدٍ ... فقلتُ ذَرُوها كُلُّ نَفْسٍ ودِينُهَا
فَإِنْ تَكُ نصرانيةً أُمُّ خَالِدٍ ... فَإِنَّ لَهَا وَجْهًا جميلاً يَزِينُهَا
ولاعيبَ فيهَا غيرُ زُرقَةِ عينِهَا ... كذَاكَ عِتَاقُ الطيرِ زُرقٌ عُيونُهَا (١)

ويستطرد رفاعة قائلا: وعلى ذكر زرق العيون يحسن قول الشاعر مع مافيه من التورية:

لكَ ياأزرقَ اللواحِظِ مَرْأًى ... قمَرِيٌّ أضْحَى على الوَجْهِ يُزْهَى
يالهَا مِنْ سَوالِفٍ وخُدُودٍ ... ليسَ تحتَ الزَّرقَاءِ أحسنَ مِنهَا"

كما تبدو لنا ثقافته الأدبية الغزيرة واطلاعه على النصوص الجيدة واختياره منها ماينا سب المقام نثرا وشعرا، والتركيز على الفكرة وتوضيحها بإيراد الكثير من النصوص المختلفة من القرآن الكريم والحديث الشريف، وأقوال الحكماء وأشعار الشعراء، مع حرصه على الاستقصاء والاستطراد في مواضع كثيرة من هذا الكتاب، أذكر منها على سبيل المثال قوله في الترغيب في حب الوطن (٢): "وإرادة التمدن للوطن لاتنشأ إلا عن حبه من أهل الفطن، كما رغب فيه الشارع، ففي الحديث "حب الوطن من الإيمان" قال أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه "عمر الله البلاد بحب الأوطان" (٣) وقال علي كرم الله وجهه: "سعادة المرء أن يكون رزقه في بلده" وقال بعض الحكماء: "لولا حب الوطن لما عمرت البلاد الغير مخصبة" وقال الأصمعي: "دخلت البادية فنزلت على بعض الأعراب فقلت له: أفدني. فقال: إذا أردت أن تعرف وفاء

(١) السابق ص٩. (٢) نفسه ص١٠ ـ ١٩.

الرجل وحسن عهده ومكارم أخلاقه وطهارة مولده فانظر إلى حنينه وشوقه إلى إخوانه". قال الشاعر :(١)

وحَبَّبَ أوطانَ الرِّجالِ إليهِمُ ... مآرِبُ قَضَّاها الشبابُ هُنالِكا
إذا ذُكِرَتْ أوطانُهُمْ ذَكَّرَتْ لَهُمْ ... عُهُودَ الصِّبا فيها فَحَنُّوا لِذَلِكا
ولِي وَطَنٌ آليْتُ أنّي أُعِزُّهُ ... وَأَلّا أرَى غَيْرِي لَهُ الدَّهْرَ مالِكا

وقال آخر :

بَلَدٌ صَحِبْتُ بِهِ الشَّبِيبَةَ والصِّبَا ... وَلَبِسْتُ ثَوْبَ العَيْشِ وَهوَ جَدِيدُ
فَإذَا تَمَثَّلَ فِي الضَّمِيرِ رَأيتُهُ ... وَعلَيْهِ أغْصَانُ الشَّبابِ تَمِيدُ

وقال آخر :

إذَا أنَا لَا أشْتَاقُ أرْضَ عَشِيرَتِي ... فليسَ مكانِي فِي النُّهَى بِمَكِينِ
مِنَ العَقْلِ أنْ أشْتَاقَ أوّلَ مَنزِلٍ ... غَنِيتُ بِخَفْضٍ فِي ذُرَاهُ ولِينِ
إذَا أنَا لَمْ أرْعَ الصُّهُودَ علَى النَّوَى ... فَلَسْتُ بِمأمُونٍ ولَا بِأمِينِ

فالوطن محبوب ، والمنشأ مألوف حتى لغير المتمدين " .

ويستطرد رفاعة فيذكر شدة تعلق البدوى بباديته وتمدحه بها ،فيقول : " بل إن البادى الجبلى يتعلق بجبال أوطانه، ويرى عزه فى الصحارى التى ألف طبعه سكنى خيامها، وتريض عقله عليها واعتاد ، كما يدل على ذلك ماحكى عن ميسون بنت بجدل أنها لما اتصلت بمعاوية رضى الله عنه ونقلها من البدو إلى الشام كانت تكثر الحنين على ناسها ،والتذكر بمسقط رأسها فسمعها ذات يوم وهى تنشد :

---

(١) الأبيات لابن الرومى . ومثل هذا كثير فى رسائل الجاحظ (انظر رسالته فى

لَبيتٌ تَخْفِقُ الأرواحُ فيهِ ... أَحَبُّ إليَّ مِنْ قصرٍ مُنيفِ

وأكْلُ كُسَيْرَةٍ مِنْ كِسْرِ بيتي ... أَحَبُّ إليَّ مِنْ أكْلِ الرَّغيفِ

وأصْواتُ الرياحِ بكلِّ فَجٍّ ... أَحَبُّ إليَّ مِنْ نَقْرِ الدُّفوفِ

ولبْسُ عباءةٍ وتقرُّ عيني ... أَحَبُّ إليَّ مِنْ لبسِ الشُّفوفِ

وكلبٌ ينبحُ الطُّرَّاقَ حَوْلي ... أَحَبُّ إليَّ مِنْ قِطٍّ أَلُوفِ

ومُكْرٌ يتبعُ الأُظْعانَ صَعْبٌ ... أَحَبُّ إليَّ مِنْ بَغْلٍ زَفُوفِ

وخُرْقٌ مِنْ بني عَمِّي نَحِيفٌ ... أَحَبُّ إليَّ مِنْ علْجٍ عَنِيفِ

فلما سمع معاوية الأبيات قال : مارضيت ابنة بجدل حتى جعلتني علجا من علوج العجم " . فالعربي كثير التعلق ببادیته فلا يتمدح إلا بها .

وبمعنى رفاعة فيصور حنين النائين عن الأوطان ولا سيما أهل مصر، ومصر لبنيها وغيرهم، وغيرها وبركاتها. مع التدليل والتوضيح بالنصوص المتنوعة، "وكلما أورد مايحتاج منها إلى إيضاح شرحه بعبارة تأخذ بالمجامع وتنفذ إلى أعماق القلوب "(١).

ولا غرو في ذلك فرفاعة أديب وشاعر .

وفي هذا الكتاب يبدو أثر ثقافة رفاعة الأزهرية في تعبيراته التي يستخدم فيها الأساليب والمصطلحات الفقهية، كقوله مثلا : " وقد ثبت بالعقل والنقل تواترا أن العرب أكثر شجاعة ومروءة وشهامة، ولسانهم أتم الألسنة بيانا وتمييزا للمعاني ... "(١)

كما يظهر تأثره بدراساته النحوية في مثل قوله : " في سنة سبع وستين ومائتين وألف كنت سافرت إلى السودان يسعى بعض الأمراء بضمير مستتر ... ".

وقوله في معرض حديثه عن تغلب الترك المماليك على مصر :

---

(١) ... الأدب ... ص ٤٤ .

" فلمعت دولة الفرنساوية فى أن تجعل حكومة مصر ملحقة مضافة إلى ملكهم بالجر على وجه الإضافة ... "(١)

كما يتضح تأثره بفكر الأزهريين فى طريقتهم فى إبراز عناوين الكتب بالسجع، فقد أقام رفاعة عنوان هذا الكتاب وغيره من مؤلفاته ومترجماته على السجع، كما فى: تخليص الإبريز فى تلخيص باريز، والمرشد الأمين للبنات والبنين، ونهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز، وكما نرى فى فصول مجلة روضة المدارس مثل: القول السديد فى الاجتهاد والتجديد، والبدع المتقررة فى الشيخ المتبرره، وغيرها.

كما يتجلى تأثره باللغات الأجنبية ولا سيما الفرنسية والتركية ونقله بعض كلماتها ومصطلحاتها إلى اللغة العربية فى مواضع متعددة من هذا الكتاب وغيره (٢).

وقد تأثر رفاعة ببعض الحكايات الشعرية الفرنسية ونقلها إلى العربية، فقد نقل لنا فى كتابه هذا حكاية " الصرار والنملة " للشاعر الفرنسى الحكيم " لافونتين " لتمثيل المشتغل والكسلان، وهى مترجمة إلى العربية أوردها هنا لطرافتها (٣):

---

(١) السابق ص ١٩٠، ٢٦٥.

(٢) سنعرض لذلك بشىء من التفصيل عند الحديث عن دور رفاعة فى تطوير اللغة وتجديدها فى صفحات قادمة.

(٣) مناهج الألباب ص ١٢٣. صرّار الليل بالفتح والتشديد الجُدْجُدُ وهو أكبر من الجُنْدُب والجندب ضرب من الجراد.

حِكايَـةٌ مَوْضُوعُهـا صَـرَّارُ ... أُوْدَى بِـهِ الجُـوعُ والانْطِـرَارُ

وكانَ قَضَّى الصيفَ فى الغِنَاءِ ... وماسَـتَى فى ذُخْـرَةِ الشِّـتَاءِ

وحِـينَ جاءَ زمَـنُ الثُّلُـوجِ ... ومنـعَ القَـوْمَ مِنَ الخُـرُوجِ

شَـاهَدَ بيتَـهُ بِلاَ مَـؤُونَـه ... فَـرَاحَ يومًـا يطلبُ المَعُونَـه

وقالَ للنَّمْلَـةِ : أنتِ جارتِـى ... مَالِى سِـوَاكِ فى قَضَـاءِ حَاجَـتِى

هَـلْ تَصْنَعِينَ مَعِـىَ المَعْرُوفَا ... لَاذُقْـتِ مِنْ دَهْـرِ الرَّدَى صُرُوفَـا

وتُقْرِضِـينَنِـى صُوَاعًا غَلَّـهْ ... وَطَبَقًـا ومِـبْرَدًا وحَلَّـهْ

فَإِنْ أتَـى الصَّـيْفُ فَقَبْـلَ القَمْحِ ... أُرُدُّهُـنَا عَلَيكِ غَيْـرَ الرِّبْـحِ

قَالتْ لـهُ النَّملـةُ وَهْىَ تَجْـرِى : ... عُـذْرُكَ يامسـكينُ مِـنْ عُـذْرِى

مَاذَا فَعلْـتَ فى حَصِيـدٍ قَدْ مَضَـى ؟ ... قَالَ لهَـا : كَانَ زمَانٌ وانْتَضَـى

قَـالتْ : وَمَا ادَّخَـرْتَ فيهِ لِلشِّـتَا ؟ ... قَـالَ لهَـا مُسْـتَهْزِئًـا مُنكِّتَـا :

كُنْتُ أُغَنِّى للحَصِيـرِ القُمَّـصِ ... قَالتْ لهُ : ياصَاحِبِى الآنَ ارْتَـرِ (١)

واعلَـمْ بأنَّ السَّعْىَ فى الذَّخِـيرَهْ ... يَسُـدُّ كُلَّ خَلَّـةٍ وَحِـيرَهْ

والدِّرْهَـمُ الأبيضُ وَهْـوَ فى يَـدِى ... يَنْفَعُـنِى لَـدَى النَّهَـارِ أَسْـوَدِ

---

(١) قمصت الدابة : نفرت وضربت برجليهـا أوعدت فى من ونشـاط

وقد ترجم الأستاذ محمد عثمان جلال [1] كتاب العلامة الفرنسى الكبير " لافونتين " وهو من أعظم كتب الآداب الفرنسية المنظومة على لسان الحيوان على نسق كتابى : الصادح والباغم وفاكهة الخلفاء وسماه " العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ " وهو يشتمل على مائتى قصة وحكاية أولها هذه الحكاية ، وطبع فى حياته فى المرة الأولى .

والشعر على ألسنة الحجاوات قديم فى تراثنا الأدبى نجده مثلا فى شعر أبان اللاحقى " نظم كليلة ودمنة " وفى شعر ابن شهيد الأندلسى وغيرهما .

وقد تأثر شوقى بهذه الحكايات وهو ينظم حكاياته الشعرية على ألسنة الحيوانات والطيور مثل : الثعلب والديك والقبرة وغيرهما مما يقصد به تربية الناشئين وتهذيبهم .

وهو بلا شك قد تأثر أيضا بالفرنسية وآدابها فى أثناء إقامته بفرنسا .

---

(١) هو محمد عثمان يوسف الحسينى نسبا الجلالى لقبا الونائى بلدا ، ووناء هذه قرية من أعمال بنى سويف قريبة من الجبل الغربى .

كان والده من كتبة بيت القاضى توفى وهو فى السابعة من عمره فألحقه جده لأمه بمدرسة قصر العينى فى عهد محمد على سنة ١٢٤٦ هـ . واختاره رفاعة الطهطاوى وأدخله مدرسة الألسن حيث درس اللغتين ، الفرنسية والعربية إلى أعلى مستوى ، وحفظ كثيرا من دواوين الشعر ، ورقى سنة ١٢٦٠ هـ إلى قلم الترجمة فترجم كتابا أسماه " عطار الملوك " فى القطريات من مياه وزيوت وأدهان ، كما ترجم كتاب العلامة الفرنسى لافونتين وسماه العيون اليواقظ .

أهم القضايا التى أثارها فى الكتاب

وقد ضمن رفاعة هذا الكتاب بعض القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية الهامة (١) التى أثارها وكان متأثرا فيها بالأفكار الفرنسية عنها والتى كان لها أثرها الواضح فى تطوير مصر وتوسيع دائرة المدنية فيها .

فقد عاش رفاعة حتى أوائل العقد الثامن من القرن التاسع عشر، حيث توفى عام ١٨٧٣ ، وشهد مايمكن أن نسميها سنوات التغيير المصرى التى شهدت من ناحية عملية بناء الدولة الحديثة فى جوانبها المادية التى قام بها محمد على وعملية بنائها فى جوانبها الحضارية والتى تمت على عهد سعيد أوعهد اسماعيل . وهذا التغيير الواسع الذى عرفته مصر خلال تلك الحقبة كان لابد أن يصحبه ويتفرع عنه عديد من القضايا (٢) ، بعض هذه القضايا سياسية والبعض الآخر ذات طابع اقتصادى بالإضافة إلى القضايا ذات الطابع الاجتماعى .

ولم يقتصر دور رفاعة على رصد القضايا التى سببت التغيير أو تفرعت عنه ، وإنما امتدت لما هو أكثر من ذلك .

---

(١) مناهج الألباب ص٥٦ ، ١٠٢ ، ٣٤٩ ، ٣٥٥ .

(٢) انظر رفاعة الطهطاوى وقضايا عصره ، د . يونان لبيب رزق ص١ .

يطـــرح بعض هذه القضـــايا . (١)

ولعل من أهم القضايا السياسية التى ضمنهـــا هذا الكتاب قضيـة العلاقة بين الحكام والمحكومين فهو يرى أن الانتظـام العمرانى يحتاج إلى قوتـــين عظيمتين: إحداهمـــا القوة الحاكمة الجالبـــة للمصالح الدارئـة للمفاســـــد. وثانيـتهما القـوة المحكومـة وهى القوة الأهليـــة لكمال الحرية المتمتعـــة بالمنافع العموميـة فيما يحتاج إليه الإنســـان فى معاشـه ووجـوه كســـبه وتحصيل سعادته.

كما أدرك رفاعة أهمية الرأى العام فى توجيـه الملـوك والحكـــام وحملهـــم على العدل ؛ وذلك لأنهـم يخشـــون اللـــوم العام، فيقـول : " ومـــا يحملهم على العـدل أيضـــا ويحاسبهم محاسبة معنويـة الرأى العمومى أى رأى أهـــل ممالكهـم أو ممالك غيرهـــم ممن جاورهـــم من الممالك؛ فإن الملوك يستحيون مـــن اللوم العمومـــى، فالرأى العمومى سلطان قاهـــر على قلـــوب الملوك والأكابـر لايتساهل فى حكمـــه ولا يهزل فى قضائـه فويـل لمن نفرت منه القلـــوب، واشـــتهر بين العـــموم بما يفضحـه من العيوب " "

وقد كان رفاعة مدركا لفكرة تعـدد السلطات من تشـريعية وقضائيـة وتنفيذية فهـو يصف السلطـة التشـريعية بأنها " قوة تقنين القوانين وتنظيمهـا وترجيـح مايجـرى عليه العمل من أحكام الشـريعـة أو السياسـة الشرعية " كما يصـــف السلطـة القضائيـة بأنها " قـوة التنفيذ للأحكام بعد حكم القضـاء "".

وقد أدار رفـاعة كثيرا من فصول هذا الكتاب حـول القضـايا الاقتصاديـــة وهـى التى عبر عنها بالمنافـع العامة فأفـرد فصـلا كاملا لبيان أهمية العمـــل الذى يعـد القيمـة الأسـاسيـة للنظام الرأسمالى تحت عنوان " فى العمـــل الذى هـــو القوة الأوليـــة فى إبراز المنافـع الأهليـــة " .

كمـــا كان على وعى تام بطبيعة الاستثمار الذى هو جوهـر النظـــام الرأسـمالى إذ قســـم الأعمال إلى منتجـة للأموال وغير منتجـة لها أى اســـتغلالية وغير اســتغلاليـــة؛ وذلك لأن العمل كما يقـول رفاعـــة : " لايخـلو إما أن تـــزيـد

قيمة مورده بالربح المنتج وإما أن لاتنشأ عنه ثمرة تربيح مالى تنسب إليه فهو غير المنتج وهذا يرجع إلى الاستغلال وعدمه بالعمل .

وكما يقال للعمل منتج وغير منتج يقال للعامل كذلك، فالعمال صنفان : " مكتسبة ومرتزقة " وهو يقصد بالصنف الأول من العمال وهم المكتسبة العمال فى مجالات الصناعة والزراعة إذ يقول : " ثم إن العامل فى أوسية أو دائرة العامل صناعية أو زراعية تزيد بعمله قيمة البضائع المصنوعة فإنه مدخل عظيم فى تربيح صاحب الملك فهذا العامل منتج للكسب والاستغلال" .

ويريد بالصنف الثانى الخدم بالمعنى المشهور المتعارف إذ يقول : " بخلاف الخادم عند السيد فإنه ليس فيه فى حد ذاته للسيد ربح ولا مكسب مالى " .

ومن القضايا الاجتماعية الهامة التى أثارها رفاعة قضية " المساواة " بين أبناء الوطن فى الحقوق والواجبات وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص بين أفراد المجتمع ليتمكن كل فرد من بذل كل جهده وإعطاء كل ماعنده، فهو يقول : " الواجب على كل عضو من أعضاء الوطن أن يعين الجمعية (المجتمع) بقدر الاستطاعة، ويبذل ماعنده من رأس مال البضاعة لمنفعة وطنه العمومية وينصح لبلاده ببث مافى وسعهم من المعلومية ... " (١) .

ويقول فى موضع آخر : " فالوطنى المخلص فى حب الوطن يفدى وطنه بجميع منافع نفسه ويخدمه ببذل جميع مايملك ويفديه بروحه ويدفع عنه كل من تعرض له بضرر كما يدفع الوالد عن ولده الشر ... " .

---

(١) مناهج الألباب ص ٤ .

صفة الوطنية لا تستدعى فقط أن يطلب الإنسان حقوقه الواجبة له على الوطن بل يجب عليه أيضا أن يؤدى الحقوق التى للوطن عليه "(١).

والطهطاوى يجعل هذه المساواة قرينة للحرية وكلاهما ملازم للعدل والإحسان مما يؤكد إيمانه بالفكر الديمقراطى، إذ يقول :

" وأما التسوية بين أهالى الجمعية فهى صفة طبيعية فى الإنسان تجعله فى جميع الحقوق البلدية كإخوانه وهى جامعة للحرية المدنية والحرية الملكية ؛ وذلك لأن جميع الناس مشتركون فى ذواتهم وصفاتهم فكل منهم ذو عينين وأذنين ويدين وشم وذوق ولمس وكل منهم محتاج إلى المعاش فبهذا كانوا جميعا فى مادة الحياة الدنيا على حد سواء ولهم حق واحد فى استعمال المواد التى تصون حياتهم فهم مستوون فى ذلك لا رجحان لبعضهم على بعض فى ميزان المعيشة "(٢).

فالطهطاوى يقرن المساواة بالحرية وحديثه عنهما يدل بجلاء على وعيه العميق بالنظام الديمقراطى الذى كان ملمحا للقوى التقدمية فى عصره .

ومن أهم القضايا الاجتماعية التى فجرها رفاعة قضية تعليم البنات فكان بذلك أسبق من قاسم أمين فى هذا المجال بأكثر من ثلاثين عاما، ولكنه تعليم محدود بتعليمهن القراءة والكتابة والحساب وأمور الدين وما يناسبهن من خياطة وتطريز، فيقول :

" وأما بالنسبة للبنات فإن ولى البنت يعلمها ما يليق بها من القراءة وأمور الدين وكل ما يليق بالنساء من خياطة وتطريز وإن اقتضى حال البلاد تعليم النساء الكتابة وبعض مبادئ المعارف النافعة فى إدارة

---

(١) الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى ص٤٣٤ .

المنازل فلا بأس بتعليم الحساب وما أشبهه لهن" . (١)

وقد كرر رفاعة هذه الدعوة فى مواضع أخرى من كتبه المؤلفة ؛ فهو يقول فى كتابه المرشد الأمين للبنات والبنين : "ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معا لحسن معاشرة الأزواج، فتتعلم البنت القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك، فإن هذا مما يزيد هن أدبا وعقلا ويجعلهن بالمعارف أهلا ويصلحن به لمشاركة الرجال فى الكلام والرأى فيعظمن فى قلوبهم، ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش مما ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لمرأة مثلها، وليمكن للمرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال مايتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها". (١)

وهكذا كان رفاعة الطهطاوى " أول من عرف مصر والعالم العربى بالدستور وحقوق الإنسان، وبالديمقراطية والتمثيل النيابى، بتفاصيل العلوم المعاشية التى تختلف عن علوم الأزهر الشرعية، بشعور المرأة ومكانها الصحيح فى المجتمع، وانتهج فى ذلك التفكير المنطقى وتحكيم العقل، وبث لبدأ التقدم فأرسى أسس الثقافة والسياسة والتربية فى حياتنا المعاصرة" (٢)

---

(١) أدب المقالة الصحفية جـ ٠ ص ١٠٣

(٢) ربع قرن مع رفاعة الطهطاوى د ٠أنور لوقا غبريال ، دار المعارف بمصر ١٦٨٥ ص١٥٤.

جهوده فى مجال الشعر العربى ،

ولما كان رفاعة مؤلفا موسوعيا مترع العقلية فقد ضمن هذا الكتاب أربع قصائد له فى وصف القطار والشكوى والحنين إلى الأهل والوطن وتربية الأطفال (١).

ومما جاء فى وصف القطار أو (البوابور) وكان من المخترعات الحديثة فى عصره قوله :

العَقْلُ فى البوابُورِ حَارْ ... تَبْغِى الجَوابَ فلاَ يُجِيرْ
فإذا أردْتَ الاختِبَار ... عِلْمًا بِهِ فاسْأَلْ خَبِير
فُلْكٌ بِأَوْجِ اللُّجِّ دَار ... وَمِنَ الحَضِيضِ لَهُ مُدِير
يجرِى على عَجَلٍ كِبَار ... فى رَسْمِ شَكْلٍ مُسْتَدِير
بُرْكَانُ نَارٍ حيثُ ثَار ... فَوَّرا وصَارَ لَهُ هَدِير
أوْسَاعٍ يَهْوَى السَّفَار ... لمصالح الدنيا سَفِير
أوْ عَاشِقٌ سُلِبَ القَرَار ... أويحسدُ الطَّرْفَ القَرِير
فى الحُبِّ قد خَلَعَ العِذَار ... ودموعُ مُقْلَتِهِ غَدِير
صَبٌّ وفى الأحْشَاءِ نَار ... شَوْقًا إلى القمرِ المُنِير
أوْ شَاطِرٌ طلبَ الفِرَار ... للأمْنِ مِنْ أمرٍ خَطِير
أوْ بَازُ صَيْدٍ قد أغَار ... مُغْرًى على الطَّيْرِ الغَرِير
أوْ ظَبْيُ قَاعٍ ذُو نِفَار ... يَعْدُو إذا عَمَّ النَّفِير
البرقَ سُرْعتَه اسْتَعَار ... والوُرْقُ مِنه تَسْتَعِير

وهى أبيات تتسم بخصب الخيال وشاها رفاعة بتلك الصور الرائعة من تشبيهات واستعارات ، كما تتميز بالرقة والموسيقة العذبة واختار لها بحر

الكامل الذى تتوالى فيه الحركة الملائمة لسرعة القطار .

وفى قصيدته التى نظمها بالسودان مستغيثا مما يقاسيه بحسن باشا - كتخدا مصر - طالبا مساعدته للعودة إلى الوطن يقول :

وَمَا خِلْتُ العَزِيزَ يريدُ ذُلِّى ... ولا يُصْغِى لأَخْصامٍ لِدَادِ
لَدَيْهِ سَعَوْا بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ... فكيفَ صَفَى لألسنةٍ حِدَادِ ؟
مَهَا زِيلُ الفَضَائِلِ خَادَعُونِى ... وهَلْ فى حَرِبِهِمْ يكبُو جَوَادِى
وزُخْرُفُ قَولِهِمْ إِذْ مَوَّهُوهُ ... علَى تَزْيِيفِهِ نادَى المُنَادِى
فَهَلْ مِنْ صَيْرَفِى المَعْنَى بَصِيرٍ ... صحيحِ الانْتِقَاءِ والانْتِقَادِ
قِيَاسُ مَدَارِسِى قالُوا عَتِيمٌ ... بِمِصْرَ فما النَّتِيجَةُ فى بَعَادِى ؟ (١)

وفيها يعبر عن شدة شوقه وحنينه إلى الأهل والوطن وما تثيره الغربة فى نفسه من أشجان قاسية وآلام مبرحة فيقول :

وَقَدْ فارقْتُ أطفالاً صِغَارًا ... بِبَطْهَطَا دُونَ عَوْدِى واعتيادِى
أُفَكِّرُ فيهِمُ سِرًّا وجَهْرًا ... ولا سَمَرِى يَطِيبُ ولا رُقادِى
وعادَتْ بَهْجَتِى بالنَّأْىِ عنهُمْ ... بِلَوْعَةِ مُهْجَةٍ ذاتِ اتِّقَادِ
أُرِيدُ وِصَالَهُمْ والدَّهْرُ يَأْبَى ... مُوَاصَلَتِى ويَطْمَعُ فى عِنَادِى
وطَالَتْ مُدَّةُ التَّغْرِيبِ عنهُمْ ... ولا غُنْمٌ لَدَىَّ سِوَى الكَسَادِ

إن رفاعة يشكو قسوة البعد والغربة عن الأهل والوطن، ولكنه فى شكواه لايضعف ولايتخاذل، فهو الشريف الذكى النسب العزيز النفس الذى يصون تلهفه ومايعتمل فى قلبه من لوعة وما يثور بداخله من نيران البعد التى لاتطاق ، ويبدو ذلك فى قصيدته التى كتبها وهو مسافر إلى باريس وفيها يقول :

مع أننى والله مذ فارقتهم ... ماطاب لى عيشى وصفو زمانى
لكننى صب أصون تلهفى ... حتى كأنى لست باللهفان
وبباطن الأحشاء نار لو بدت ... جمراتها ماطاقها الثقلان
أبكى دما من مهجتى لفراقهم ... وأود لو تشعر العينان (١)

أجل إنه يشكو ولكنه سرعان مايحس بعزة نفسه وشرف عنصره وأفضاله فى مجالات العلم والأدب والمعرفة فيفخر بها محاولا أن يستر بها شكواه من مرارة البعد وآلام الغربة وعناء الفراق، فهو فى الأبيات التالية يفخر بآدابه التى ارتقت به إلى آفاق النجوم فيقول :

وآدابى تسامى بى الدرارى ... على شعثى وتبلغنى مرادى
ومالى لا أتيه بها دلالا ... وقد دلت على نهج الرشاد
إلى سبل الفخار تقود حزمى ... وفى ميدانه عزمى انقيادى

كما يفخر بكرم محتده وطيب أرومته وانتسابه إلى خير البرية، فيقول :

سوى نسبى العلوى لى انتساب ... إلى خير الحواضر والبوادى
حسينى السلالة قاسمى ... «بطهطا» معشرى وبها مهادى

ويفخر كذلك بكثرة مؤلفاته ومحرباته ومترجماته التى تعد منبعا للمعرفة وأساسا للتنوير والتطوير، فيقول :

وحسبى أننى أبرزت كتبا ... تبيد كتائبا يوم الطراد
فمنها منبع العرفان يجرى ... وكم طرس تحبر بالمداد
على عدد التواتر محرباتى ... تفى بفنون سلم أو جهاد
«وملطبرون» يشهد وهو عدل ... «ومنتسكو» يقر بلا تمادى
ولاح لسانه بباريس كشمس ... بقاهرة المعز على عمادى

وقد نهج رفاعة فى هذه القصيدة نهج الشعراء السابقين واحتذاهم فى الشكل والمضمون، فهى قصيدة تقليدية عمودية قافيتها دال مكسورة تكشف عن انكسار النفس بما فى داخلها من هموم وأحزان .

وأما القصيدة التى خمّسها للإمام البرعى وهو بالسودان فى مدح الرسول عليه السلام، والتوسل إليه أن يعود إلى وطنه فمطلعها (١) :

تُبْدِى الغرامَ وأهْلُ العِشْقِ تكتُمُهُ ... وتدَّعِيهِ جِدَالاً مَنْ يُسَلِّمُهُ

ماهكذا الحُبُّ يامَنْ ليس يفهَمُهُ ... خَلِّ الغَرامَ لِصَبٍّ دمعُهُ دَمُهُ

حَيْرانَ تُوجِدُهُ الذِّكْرَى وتُعْدِمُهُ

وفيها يقول متوسلا وهو مما زاده على القصيدة :

رفاعةُ يشتكِى مِنْ عُصْبةٍ سَخِرَتْ ... لمَّا رأتْ أبْحُرَ العِرفانِ قد زَخَرَتْ

فارْفَعْ ظَلامةَ نَفْسٍ عَدْلَكَ ادَّخَرَتْ ... وهاكَ جَوْهرُ أبياتٍ بكَ افتخَرَتْ

جاءَتْ إليكَ بِخَلِّ الذَّنْبِ ترقُمُهُ

فاكْشِفْ بِحَقِّكَ عنهُ اليومَ مُظْلَمةً ... مِنَ الهُمومِ غدَتْ كاللَّيلِ مُظْلِمَةً

وانظُرْ إليهِ بعَيْنِ الفَضْلِ مَكْرُمَةً ... وا جْعَلْهُ منكَ بِمَرْأَى العَيْنِ مَرْحَمَةً

إذا ألمَّ بِهِ مَنْ ليسَ يرحَمُهُ

ارْحَمْ غريبًا بعيدَ الدَّارِ غائبَهُ ... حَبْلُ النَّوَى حَمَّلَ الأثقالَ غارِبَهُ

فَصِلْ رغائبَهُ وافْصِلْ غرائبَهُ ... ولِمَنْ دعَا فأَجِبْهُ واحْمِ جانبَهُ

ياخيرَ مَنْ دُفِنَتْ فى التُّرْبِ أعْظُمُهُ

وبعد أن يشكو رفاعة من عصبة السوء التى وشت به وكانت السبب فى إبعاده إلى السودان؛ لأنها نغصت عليه علمه وفضله يتوسل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكشف الغمة ويرفع الظلم الذى يعانيه يلهج قائلا :

رفاعةُ خَمَّس المنظومَ مُرتجلاً ... قصيدَهُ وهو بالخُرطومِ قد وَجِلاَ

قالتْ هواتفُه بالله كُنْ رَجُلاَ ... فإنَّ جَدَّكَ طهَ للخطوبِ جَلاَ

فأَمْرُ خطبِكَ هذَا الجَدُّ يَحسِمُهُ

وقد عمد رفاعة في هذه القصيدة إلى الخروج على النظام التقليدي للقصيدة متأثرا في ذلك بنظام الموشحات الأندلسية، كما عمد إلى المجانسة في غير تكلف كما نرى في قوله : مظلمة ومظلمة، غائبة وغاربة، رغائبه وغرائبه، كفلوا وغفلوا. واستخدم الأسلوب الإنشائي الدعائي في الغالب لأنه في مقام التوسل والاسترحام.

وفي منظومته في تربية الأطفال التي سار فيها على طريقة نظم العلوم مع التنويع في القافية يقول : (١)

في بِرِّوَ الدَيْكَ بالِغْ تغنَمِ ... لاسِيَمَا في العيدِ أَوْ في الموسِمِ

وإن تَرُمْ سُرورَ أُمٍّ أَوْ أَبِ ... يوما فكَسْبُ العِلمِ خيرُ مكسَبِ

مَنْ رامَ عندَ الناسِ طُرًّا أَنْ يُحَبْ ... فَلْيَلْتَزِمْ حُسْنَ السلوكِ والأَدَبْ

وَأَنْ يكونَ طيِّبَ السَّرِيرَه ... مُهذَّبَ الأخلاقِ زاكِي السِّيَرَه

مَنْ رامَ بينَ العَالَمِ ارتفاعَه ... فَلْيَلْزَمِ العِفَّةَ والقناعَه

هَلْ ذَلَّ عندَ الناسِ عبدٌ يقنَعُ ... أَوْ عَزَّ سيدٌ لديهِمْ يطمَعُ

مَنْ رَامَ أَنْ يكتَسِبَ اللَّطَافَه ... عليهِ طولَ الدهرِ بالنَّظَافَه

فإنَّها مِنْ شُعَبِ الإيمانِ ... تُطلَبُ في الثيابِ والأبْدانِ

وشَرُّ أوصافِ الفتَى هُوَ الغَضَبْ ... يُفْضِي إلى ارتكابِ ما لا يُرتكَبْ

فَضْلُ البناتِ الشُّغْلُ والتَّطْرِيزُ ... ومَنْ حَوَتْ عِلماً بهِ تَفُوزُ

في سائِرِ الأحوالِ الاحتِشَامُ ... مِنْ جَنْبِهِنَّ والحيَا يُرَامُ

الرِّفْقُ بالفقيرِ والضَّعِيفِ ... مِنْ حُسْنِ أخلاقِ الفتَى الشَّرِيفِ

وَخَوْفُ رَبِّ العَرْشِ والمُرَاقَبَه ... أَمْنٌ مِنَ الشَّرِّ وسُوءِ العَاقِبَه

وهذه القصيدة التي ضمنها رفاعة الكثير من النصائح والتوجيهات القيمة في تأديب الناشئة وتقويم سلوكهم والتي كرر فيها دعوته الجريئة بضرورة تعليم البنات أشغال الإبرة والتطريز مع التزامهن الحياء والاحتشام أودعها

رفاعة هذا الكتاب وقدم لها بقوله : "وقد كنت نظمت فى كتاب تعريب الأمثال فى تأديب الأطفال منظومة لطيفة تحسن بمنوال التعريب نسجها فيحسن هنا بمناسبة المقام إدراجها "(١).

هكذا أضاف رفاعة إلى الشعر العربى أغراضا جديدة " فإلى جانب الوطنيات حيا المخترعات الحديثة ، وقبل أن يتغنى شوقى بالغواصة والطيارة تغنى هو بالقطار ووصف الأمنبوس "(٢) وكان تأثره بالشعر الفرنسى المتنوع القوافى والأوزان سببا فى عودته إلى أشكال الموشحات والزجل الأندلسى، كما أضاف إلى الشعر العربى الحديث رقة وموسيقى (٣) كما رأينا فى وصف القطار وكما هو الحال فى مقطوعاته الوطنية الرقيقة الخفيفة الأوزان العذبة الموسيقى (٤).

ومنها على سبيل المثال قوله فى الجيش المصرى ومفاخره :

نُنَظِّمُ جُنْدَنَا نَظْمَا	عَجِيبًا يُعْجِزُ الفَهْمَا
بِأُسْدٍ تُرْعِبُ الخَصْمَا	فَمَنْ يَقْوَى يناضِلُنَا
رِجالٌ مالَهَا عَدَدُ	كَمالُ نظامِهَا العُدَدُ
حُلاَهَا الدِّرْعُ والزَّرَدُ	سِنَانُ الرُّمْحِ عامِلُنَا
وَهَلْ لِخُيُولنا شَبَهُ	كَرائِمُ مابِهَا شُبَهُ
إليهَا الكُلُّ مُنْتَبِهُ	وَهَلْ تَخْفَى أصَائِلُنَا
لنَا فى الجيشِ فُرسَانُ	لهُمْ عندَ اللِّقَا شَانُ

---

(١) كتاب "تعريب الأمثال" ترجمه عن الفرنسية أحد تلاميذ رفاعة واسمه عبد اللطيف أفندى وقد طبع فى بولاق سنة ١٢٦٣ هـ .

(٢) ربع قرن مع رفاعة الطهطاوى ص ١٦٠ .

(٣) انظر مقالة د . أنور لوقا فى مهرجان رفاعة ص ١٤٢ .

(٤) راجع شعر الوطنية فى ديوان رفاعة الطهطاوى تحقيق ودراسة د . طه وادى طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٦٧٦ م .

وفى الهَيْجَاءِ عُـــــــنْوَانُ تَهِـــيمُ بِـــهِ صَوَاهِلُنَـــــا (١)

بيد أن رفاعة وإن كان قد تفوق بشعره على شعر معاصريه فإن شعره لا يرفعه إلى مرتبة الشعراء الممتازين كشوقى ومدرسته .

وقد ارتفع رفاعة بشعره عن الأغراض المتداولة فى أيامه كالمديح والرثاء والغزل وتأريخ المنشآت إلى أغراضه السامية من التغنى بحب مصر والإشادة بذكرها وذكر جيشها المجيد ومواقعه الحاسمة وأبطاله الصناديد . (٢)

---

(١) رفاعة رافع الطهطاوى د . جمال الدين الشيال ص ٨٢ .

(٢) انظر السابق ص ٥٥ .

جهوده فى تطوير اللغة وتجديدها

مرت اللغة العربية فى عصر رفاعة بمرحلة من أهم مراحلها الراهنة فهى قد تفتحت على جديد لاعهد لها به أثر فيها وتفاعلت معه، ورفاعة معلم بارز فى حياة اللغة العربية ورائد من روادها وشاهد عليها؛ فقد تناول الترجمة وهى من القضايا اللغوية الهامة فمنذ وجوده فى باريس وقد شغلته الترجمة ، ودوره فى مدرسة الألسن وفى قلم الترجمة واضح غير منكور، كما أن له مع مراجعة الكتب المترجمة فى الفنون المختلفة فى عصره دورا كبيرا أيضا، ومثله فى تنظيم صحيفة الوقائع المصرية وبخاصة فيما يتصل بترجمة الأمور الخارجية .

ويتجلى تأثره باللغات الأجنبية ونقله منها إلى اللغة العربية فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، ومنها ما ذكره فى مطلب إرسال محمد على بعثة إلى السودان لاستكشاف المعادن، إذ يقول :

" وقد كان حكمدار بلاد السودان أرسل إليه عدة فلزات من الذهب على سبيل العينة فكاد يطير بها فرحا ، فأرسل فى نحو مائتين وألف كلا من موسيوروسيجير وموسيو بوريانى الكيماوى، فالأول كان قد ذهب إلى المعادن قبل الثانى بكثير فشرع فى التجربة ورجع إلى الخرطوم فوجد موسيوبوريانى قد أقام بها ينتظر الفصل المناسب، فكتب موسيور وسيجير من الخرطوم إلى المرحوم محمد على مامضمونه أن النفر الذى يشتغل فى المعدن باليومية يستخرج ذهبا بعشرة فرنكات كل يوم يعنى بأربعين قرشا ميريا، وكان ذلك فى مدة ولاية خورشيد باشا لحكمدارية السودان، وأخبر المعدنجى الحكمدار بذلك فلم

يصدق ذلك الحكمدار المذكور، وأما المعية السنية فأخذت كلام المعدنجى المذكور قضية مسلمة واعتقد ذلك أيضا المرحوم محمد على .

ثم لما اعتدل الوقت للياقة السفر إلى المعادن خرج موسيوروسيجير وموسيوبوريانى من الخرطوم ومعهما من الخفر ألف من عساكر الجهادية تحت رياسة مير اللوى مصطفى بك وساروا جميعا حتى وصلوا إلى فازغلو وشرعوا فى استخراج المعدن والبحث عنه" (١)

فقد استخدم رفاعة هنا بعض الكلمات التركية : مثل حكمدار ، خورشيد باشا ، بك ، الجهادية ، مير اللوى ، المعدنجى ، كما ذكر بعض الكلمات الفرنسية مثل: موسيو روسيجير بوريانى فرنكات .

ويقول فى موضع آخر من الكتاب فى مطلب تجديد كولبرت رئيس وزراء فرنسا المنافع العمومية بفرنسا على عهده" وأما كولبرت رئيس الوزراء فإنه قد جدد المنافع العمومية ، ووسع دائرة التجارة الفرنساوية بكثرة الأخذ والإعطاء فى الهند وأفريقيا وجعل فى هذه الممالك الأجنبية قنصليات فرنساوية وسهل التجارة الداخلية بفتح مسالك فى الأنهر بحيث صارت مسلوكة للسفن، وكذلك فتح طريقا بين البحرين يعنى المحيط الغربى والبحر الأبيض وهو خليج لنقدوق وقد كان تصور فتحه فرنسيس الأول ملك فرنسا ولم يشرع فيه ففعله كولبرت فى أيام لويز الرابع عشر . وقوى علم النجوم بالرصد خانة الملوكى وجدد فيها الحسبة والضبط والربط الداخلية وأدخل حسن التربية فى الجيوش العسكرية وسوى بالحمارات بالسواحل المينات المأمونة وبنى عليها قلاع الثغور المصونة وجدد لنفع الملة بتمامها قشلة العساكر السقط على أتم أسلوب وأكمل نمط ... " (١).

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٦ .

ففـــى هذ الجزء المختار من الموضـوع نرى رفاعة ينقل لنا بعض الكلمات الأجنبية من فرنسـية وتركيـــة مثل : كولبرت ، قومبانيات ، لنفدوق ، فرنســـيس ، لويـــز ، الرصـد خانـة ، قشلة العساكـر .

وكما هـو الحال فى مؤلفاته الأخـرى ولا سيما كتابه تخليص الإبريـز وبعض المقالات التى كان يكتبها فى مجلة روضـة المدارس وصحيفة الوقائـع المصـــرية .

ففـــى كتابه تخليص الإبريـز يصف حديقـة الشمبزليزه وهى إحدى متنزهات باريس الكبرى فيقـول : " وهـى من أرقى المتنزهات وأنضرهـا وهى بستان عظيم يبلـغ أربعين أربانا والأربان هـو قياس يقرب مـن الفـدان ... وهذه الحديقـة يتصـل أحد جوانبها بنهـر السين وبينها وبينه رصيـف وبجانبهـا الآخـر بيوت بأطـراف الخلا ، وفيهـا كثـير من القهاوى والرسـطرا طورات يعنى بيوت الأكـل وفيها سائـر أنـواع الطعـام والشـراب .

وهـى مجمع الأحباب والأكابـر ، وبها كثير من المرامح للخيـل ، ويدخـل فيها الأكابـر بالعربيـات المزينـة وفيها عدة آلاف من الكراسـى بالأجـرة يجلس عليها فى زمن الربيع نهارا وفى زمن الصيف ليـلا ، وأعظـم اجتماع الناس فيها يوم الأحـد ، فإنه يوم البطالـة عنـد الفرنساوية ، وبالجملة فهذه الحديقة محل للمولسـم وللأفراح العامة والزينات وبها يتماشـى سـائر النساء الجمالات"(١)

ففـــى هذه القطعـة نقل لنا رفاعة بعض الألفـاظ الفرنســية مثل : الشمبزليزه ، الأربـان ، والرسـطراطـورات .

ومن أمثلة ذلك مانجده فى صحيفة الوقائـع المصرية تحت عنوان "أخبار داخليـة" ومنها قـولـه :

---

(١) تخليص الإبريز ص ١١٣ ، ١١٤ . الشمبزليزه : معناها رياض الجنة .
(٢) العدد ٢٦٣ الصادر فى غرة ربيع الآخر سنة ١٢٥٨ هـ .

" وقد كان صدر للجهادية فرمان مضمونه أن المعلمجية الذين يعلمون الألايات ... ولم تكن لهم منفعة بعد ذلك حيث أنهم تعبوا في تعليم العساكر ينبغي أن ينظر لهم فمن كان منهم لائقا للانتظام في سلك العساكر تعطى له رتبة ويدخل في الزمرة ومن كان ينفع لخدمة أخرى يتوجه إليها برتبته الأصلية ... ".

فهذا الخبر الصحفي الداخلي يزخر بألفاظ تركية مثل: الجهادية ، فرمان ، معلمجية ، جهادية ، ألايات ... الخ .

والجدير بالذكر أن دراسة مسارات الألفاظ الدخيلة والعامية عند رفاعة مفاتيح لدراسة العربية في القرن التاسع عشر ذلك القرن الذي يعد بالنسبة للغة العربية بداية فترة حضارية جديدة .

ونلاحظ أن رفاعة يعمد أحيانا إلى توضيح معاني بعض الكلمات والمصطلحات العربية بذكر ماينا ظرها في اللغة الفرنسية ، فيقول مثلا : المنافع العمومية هي أندوستريا الفرنسية ، والشمبزليزه هي رياض الجنة ، والزسطراطورات يعني بيوت الأكل .

ومن أمثلة ذلك أيضا استعماله كلمة " بوليتيقيه " بمعنى سياسة ، في قوله : " وأن ماكان بين الدول والملل يقال له بوليتيقيه خارجية ، وما كان في دولة واحدة مما يتعلق بانتظامها وتدبيرها يقال له بوليتيقيه داخلية "(١) ومثلها كلمة غازيته " "Gasette" " وجمعها غازيتات في قوله :

" والغالب أن الغازيتات والوقائع هي التي تتحدث عن بوليتيقيه الداخلية والخارجية "(٢) .

ورفاعة يحرص على تتبع المسارات الدلالية لبعض الكلمات التي تعرض له ومن أمثلة ذلك كلمة " منتتنا " اسم جبل ، في قوله :

---

(١) الوقائع المصرية ، افتتاحية العدد ٢٦٣ غرة ربيع الآخر سنة ١٢٥٨ هـ .

(٢) السابق .

" وقد رأينا بهذه الجزيرة على بعد فى اليوم الرابع عشر الجبل المسمى " منتثنا "
"Montetna" بفتح الميم وسكون النون وكسر التاء الفوقية وسكون الثاء المثلثة (١) . وكلمة
" كراتيره " وهى فرنسية بمعنى فوهة البركان فى قوله : " وفوهة البركان تسمى بالفرنسية
كراتيره Cratere بكاف وتاء فوقية مكسورتين وفتح الراء الثانية (٢) .

ورفاعة هنا يحاول أن يوائم بين أسلوب النطق الأجنبى وأسلوب العرب فى نطقهم مع محافظته إلى حد بعيد على الصورة الصوتية وطبيعتها فى لغتها التى أخذت عنها ، فهو بالإضافة إلى ذلك يضع قيودا على النطق عن طريق ضبطه بهذه الكيفية حتى لا تتعدد الصورة الصوتية للصيغة الدخيلة ، وبذلك يتيسر النطق الدقيق من ناحية ويتخذ طريقته من ناحية أخرى على ألسنة الناطقين باللغة العربية ويسهل إلى حد بعيد رده إلى أصله لمن أراد ذلك (٣) .

كما تناول رفاعة فى مباحثه الدراسات الأنثروبولوجية وهى دراسات وثيقة الصلة بالمباحث اللغوية .

نقد تناول بالدراسة التراث القديم ، وعمل على تقريب جوانبه الأدبية واللغوية والأسلوبية للفكر العربى ، كما حرص على إدخال عناصر منه فى معجم اللغة العربية ، فهو يقدم لكتابه المترجم " قلائد المفاخر فى عوائد الأوائل والأواخر " بمائة صفحة ضمنها الكلمات الغريبة التى توجد فى الكتاب مرتبة على حروف المعجم ومضبوطة حسب النطق الفرنسى ، والكتاب فى الأنثروبولوجيا والاجتماع ويحوى أسماء ممالك وبلدان وبحار وأسماء أعلام مشهورة وأساطير مثل " أو ميروس ، وأورفة ، وساترن ، وأسماء طوائف من الناس ومصطلحات العلوم .

وقد كشف لنا رفاعة عن غرضه من تقديم هذا القاموس وأهميته فقال :

" ولما كانت هذه الألفاظ فى الأغلب أعجمية لم ترتب إلى الآن فى كتب اللغة العربية ، وكان يتوقف فهم هذا الكتاب إليها عرضناها بأسهل ما يمكن التلفظ به

(١) ، (٢) تخليص الإبريز ، طبع وتحقيق د . محمود فهمى حجازى بالإحالة إلى كتاب الحضارة النينيقية الفصل السادس ، ترجمة د . محمد عبد الهادى شيرة ، القاهرة .
(٣) تخليص الإبريز ص ٣٨٠ ، ٣٨١ .

فيها ، على وجه التقريب حتى أنه يمكن أن تصير على مدى الأيام دخيلة فى لغتنا كغيرها من الألفاظ المعربة عن الفارسية ، واليونانية ، ولو وضع المترجمون نظير ذلك فى كل كتاب ترجم لا نتهى الأمر بالتقاط سائر الألفاظ المستحدثة التى ليس لها مرادف أو مقابل فى لغة العرب ... فإن هذا مما يفيد التسهيل على الطلاب ، وبه تحصل الإعانة على فهم كل كتاب "[1] .

إن رفاعة الطهطاوى بإنشائه مدرسة الألسن ثم قلم الترجمة قد " أخرج لغة العرب من عزلتها الثقافية المزمنة ، وأوصلها بتيار الفكر الغربى ، من خلال ترجمة ما يقرب من ألف كتاب ، نقل بها هو وتلاميذه خلاصة العلوم والمعارف الحديثة ، فأصبح للغة قدرتها على التعبير عن مقتضيات حياة العصر "[2] . وبهذا أسهم رفاعة فى تطوير اللغة العربية وتجديدها وتطويعها لاستيعاب مستحدثات الحضارة والأفكار الجديدة ، فكان بذلك أول رائد لتطوير هذه اللغة فى العصر الحديث .

وقد نوه بذلك الأستاذ محمد خلف الله أحمد إذ يقول :[3]

" وقد أتيح لى فى السنوات الأخيرة أن أتتبع آثار رفاعة من جهة مكانها فى التطور الفكرى واللغوى فى العالم العربى الحديث فأيقنت أن مواطننا السوهاجى كان أمة فى رجل ، ولم يكن إعجابى بما فتحه من نوافذ جديدة للفكر العربى بأقل من إكبارى لجهوده التى حاول بها أن يطوع اللغة العربية للأفكار والتصورات المستحدثة ، وأن يضع اللبنة الأولى فى التطور الحديث لهذه اللغة " .

---

(١) قلائد المفاخر فى عوائد الأوائل والأواخر لرفاعة الطهطاوى طبع القاهرة سنة ١٢٤٦ هـ .

(٢) ربع قرن مع رفاعة الطهطاوى ص ١٥٢ .

(٣) من مقاله فى مهرجان رفاعة سنة ١٩٥٨ .

وقد حرص رفاعة على استخدام السجع فى تصديره لهذا الكتاب كما هى عادته فى تقديمه لكل كتبه التى ألفها فهو يقول فى تقديمه لهذا الكتاب :

" أما بعد : فكل عاشق لجمال العمران ، وناشق لشذا عبير هذا الزمان ، يتهلل سرورا ، ويمتلىء قلبه حبورا ، حيث يرى بعين المحبة ، أنه قد عاد لمصر عزها القديم وسموها الفخيم ، ومجدها المؤثل وسعدها الأول ، وأنها لا زالت مجدة السير على غاية من السرعة ، لتحظى بالحظ الوافر من نمو المجادة وسمو المنعة ، وتستحوذ على ضخامة الشأن وفخامة الرفعة ، وتصير أبهى من أقطار المعمورة وأزهى بقعة ، وليس هذا التقدم العجيب ، والسبق فى ميدانه الرحيب ، إلا من عهد المرحوم محمد على وورثائه من بعده ، فكل منهم أبدى فى مصر من المحسنات بقدر طاقته وجهده ، وعلى حسن نيته وخلوص قصده " .

ثم يقول : " فقد تعزز الوطن المحروس ، والبلد المأنوس بالعلوم والمعارف والمنافع واللطائف ، جملة وتفصيلا ، وتأسيسا وتأصيلا ، وصارت فيه قواعد التمدين على أساس مكين ، وتمكن وجودها من وصف البقاء أتم تمكين " .

فقد أدار رفاعة هذه المقدمة على السجع الذى يطول ويقصر والذى ابتعد عنه عن التكلف والتعقيد .

والسبب فى ذلك — كما يبدو لى — أن مقدمات رفاعة لكتبه المؤلفة جاءت على شكل خطب ، وهو يحرص على السجع فى خطبه لما له من رنين موسيقى مؤثر على القلوب والأسماع .

ومن ذلك خطبه المدرسية التى كان يلقيها آخر العام فى مناسبة الامتحانات التى كانت تعقد علانية ، ويدعى لسماع الطلبة الممتحنين جمهور كبير من رجال الأمة وأعيان البلاد ، وكانت خطبه فى هذه الاحتفالات تدور حول تمجيد العلم وفائدة الامتحان ، والثناء على الطلاب المبرزين (1) .

(1) انظر مقالة د. أحمد أحمد بدوى السابقة ص ١٣٠ .

يقول رفاعة فى خطبته التى ألقاها بمناسبة انعقاد امتحان مدرسة الألسن سنة ١١٥٢ هـ : " أما بعد : فلما كانت مملكة (مصر) بمقتضى الحكمة الإلهية ممتازة عن سائر ممالك البرية بأنها أهل لسيادتها على جميع الممالك وكأنها ما برأها البارى إلا لذلك وهو أعلم بما هنالك ، كما يدل عليه ما سبق لها فى الأحقاب الخالية ، والأزمان المتعاقبة المتتالية ، كانت اعترتها فترة أخنى على عروشها بالمرة ، ويأبى الله إلا انتظام ملكها ، وانتظامها فى سمط الدولة وسلكها حفها بألطافه ، وأنقذها بإسعافه وسخر لها سمى رسوله ، وعززه ـ لا سيما ـ بسمى خليله ، أكرم به من همام جادت به بقاع الاسكندر الأكبر ، فهما وإن تشابها فى هم لا تحصى ولا تحصر ، فقد امتاز عنه ولى نعمتنا بالحظ الأوفر ، فأين من نحا بهمته نحو العمار ممن كان دأبه التخريب والدمار ؟ ... فمما أنشاه فى شهر ربيع الآخر من السنة الماضية مدرسة الألسن الناشئة بخزيمة ماضية ، وإشارة راضية ، وهمة قاضية ، وغرضه (حفظه الله) بهذا الإبداع اتساع دائرة كتب العلوم والفنون مع المبادرة والإسراع .

ولا شك أن تلامذة هذه المدرسة معدون لارتقاء أعلى المراتب ، وحيازة أسنى المناصب ، وهذا أول مجلس للامتحان واختبار صدق صوارم الأذهان ، وميقات تناضل النرسان الذى يظهر فيه الكمى من الجبان ، وقد تشرف هذا المجلس بحضور شيوخ مشايخ الإسلام ، ووكلاء الدولة الفخام ، ورئيس مجلس الامتحان ، ومن الأمثال التى سارت بها الركبان :

" عند الامتحان يكرم المرء أو يهان "[1] .

فالسجع فى هذه الخطبة جاء طبيعيا وغير متكلف والخطبة تنبىء عن بلاغة صحيحة ، يقول رفاعة : والبلاغة الصحيحة ما فهمت العامة ورضيت الخاصة [2] .

بيد أن رفاعة كان يعرض عن السجع حين يوضح رأيا أو فكرة أو يصف حادثة أو

(١) نظم اللآلى فى السلوك فيمن حكم فرنسا من الملوك لعبد الله أبو السعود ، طبع بولاق سنة ١٢٥٧ ، ص ١٧١ .
(٢) تخليص الإبريز ص ١٠٠ .

يكتب تاريخا ، إذ كان يأتى بالفكرة مجردة عن الزخارف اللفظية إلا ما جاء منهـا عفو الخاطر دون تعمل أو افتعـال .

يقول الدكتور أحمد أحمد بدوى : " وفى بعض الأحيان يلقى رفاعة جانبـا كل ما عدا الفكرة التى يريد إبرازها فلا يحنيه سجع ولا زينة ، ولكن هدفه الأول أن يصور ما يجول بذهنه من الأفكار ، بل إنه ليتخذ كل أداة توصله إلى هـذه الغاية ، حتى ولو كانت الأداة اللغة العامية أو الكلمات الأجنبية ، وخير مثـال لذلك كتاب " تخليص الإبريز فى تلخيص باريز " فهو كتاب فكرة يصورها صاحبهـا بكل ما يستطيع من الأدوات " (١) .

وعن أسلوب رفاعة فى تأليف الكتب وتسويد الصحف والترسل الأدبى البحـت يحدثنا الدكتور عبد اللطيف حمزة فيقول :

" وأما أسلوبه فى تأليف الكتب فلا مراعاة فيه لأناقة فنية من أى نوع ، ولا بذل فيه لجهد أكثر من اختيار الألفاظ ، وعذر الكاتب فى ذلك أنه مشغول بالمعانـى أكثر من شغله بالأساليب ، وأما طريقته فى كتابة الصحف ففيها أنماط مختلفـة ونماذج متباينة ، فهو حين يترجم غيره حين يكتب الخبر الصحفى ، غيره حيـن إنشاء المقال وأما طريقته فى الترسل الأدبى البحت فلا تخرج عن طريقـة المتأدبين فى عصره بحال ما : مراعاة للسجع وتوخ للبديع ، وحرص على الاستشهاد إلى غير ذلك مـن الأصباغ الفنية التى استخدمها أدباء العربية منذ القـدم فى فنهم الكتابى " (٢) .

ورفاعة وإن كان يحرص على مراعاة السجع فى الترسل الأدبى البحت شأنه فى ذلـك شأن معاصريه من المتـأدبين فإنه السجع الخفيف الوقع على الأسماع ، المحرك لأوتار القلوب ، الواضح الذى لاخفاء فيه ولا غموض البعيد عن التكلف والتصنيع .

ويتضح ذلك فى نثره الأدبى الذى يعبر فيه عن شعور نفسى أو إحساس عاطفى كقوله معبرا حنينه إلى موطنه الأصلى " طهطا " الذى لم تشغله عنها أضواء القاهرة

(١) مقالة د . أحمد أحمد بدوى ص ١١٦ .
(٢) أدب المقالة الصحفية جـ ١ ص ١٣٦ ، ١٤٠ .

وبريقها :

" حب الوطن من الإيمان ، ومن طبع الأحرار إحراز الحنين إلى الأوطان ، ومولد الإنسان على الدوام محبوب، ومنشؤه مألوف له ومرغوب ، ولأرضك حرمة وطنها ، كما لوالدتك حق لبنها ، والكريم لا يجفو أرضا بها قوابله ، ولا ينسى دارا بها قبائله ، فإنى وإن ألبستنى المحروسة نعما ، ورفعت لى بين أمثالى علما وكانت أم الوطن العام وولية الآلاء والإنعام وأحبها حبا جما لأنها ولية النعمى ، وقضيت فيها الأربعين مجاورا " كرام السجايا والبحور الطوامى " فلازلت أتشوق إلى وطنى الخصوص وأتشوف وأتطلع إلى أخباره السارة وأتعرف ، ولا أساوى بطيبها الخصيبة سواها فى القيام بالحقوق وإكرام مثواها :

منازلُ لستُ أهْوَى غيرَها سُقِيتْ حَيًا يمُرُّ ، وخُصَّتْ بالتَّحيَّاتِ " (١)

فالسجع هنا واضح لا يحس فيه المتلقى بضيق أو ملل ، لأنه موقع على أوتار العاطفة الصادقة ، وتلك ميزة انفرد بها رفاعة من بين معاصريه من كتاب النثر الأدبى فكان بذلك رائدا فى تطوير أسلوب النثر .

وبعد هذه المسيرة مع الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى فى كتابه مناهج الألباب المصرية نخلص إلى القول بأن هذا الكتاب يعد دراسة تاريخية واجتماعية لمصر فى عهد محمد على وخلفائه من بعده حتى عهد توفيق ، كما يعد مرجعا للتربية الوطنية ، ومجالا للدراسات الأدبية واللغوية ، وفيه ثروة ضخمة من الألفاظ الأجنبية والمعربة التى تحتاج إلى دراسة موسعة .

وقد اتبع المؤلف منهج المدرسة القديمة فى التأليف التى كانت سائدة فى القرون الثانى والثالث والرابع للهجرة عند الجاحظ والمبرد والأصفهانى وأضرابهم ، والتى تقوم على التأليف الموسوعى الذى يضم إلى التاريخ أطراف الفنون والأدب بطريقه وتليده وقريبه وبعيده .

بيد أن رفاعة قد استخدم فى سرد الأحداث التاريخية والاجتماعية منهج العلوم

---

(١) رفاعة رافع الطهطاوى للدكتور جمال الدين الشيال ط ٢ ص ٦٤ .

الطبيعية الذى يقوم على استنباط النتائج من المقدمات • وقد بدا أثر ثقافته العربية الأزهرية والفرنسية فى أسلوبه وتعبيراته •

وقد ضمن رفاعة هذا الكتاب العديد من القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى كان يتطلبهـــا التغيير الذى تم فى عهد محمد على ومن جاء بعده ، والذى كان يهدف إلى إقامة بناء جـــديد فى السياسة والاقتصاد والإدارة والجيش •

ومن أهم هذه القضايا : قضية العلاقة بين الحكام والمحكومين ، وأهمية الرأى العام فى توجيه الملوك والحكام وحملهم على العدل ، وفكرة تعدد السلطات مـــن تشـــريعية وقضائية وتنفيذية ، وأهمية العمل الذى يعد القيمة الأساسية للنظام الرأسمالى ، وقضية المساواة فى الحقوق والواجبات ، وقضية تعليم البنات •

ومن خلال القصائد التى ضمنها رفاعة هذا الكتاب أمكن الكشف عن جهوده فى مجال الشعر العربى ، وإن كان شعر رفاعة لا يرقى به إلى مستوى الشعراء الكبار فى العصر الحديث من أمثال شوقى ومدرسته إلا أنه أضاف إلى الشعر العربى الحديث رقة وموسيقى ، وأغراضـــا جديدة كشعر الوطنية ووصف المخترعات الحديثة •

وقد أسهم رفاعة بجهد فى تطوير اللغة العربية وتجديدها وتطويعهـــــا لمستحدثات الحضارة بما أدخله فيها من ألفاظ وأفكار ومصطلحات أجنبية ومعربة •

وأضفى على أسلوب النثر السلاسة والوضوح ، وعمل على تخليصه من المحسنات البديعية المتكلفة التى سادت النثر فى عصره • وكان له أثر واضح غير منكور فى أدب القرن التاسع عشر •

وقد أهلـــته أعماله العظيمة لأن يحتل تلك المكانة المرموقة ، وأن تنتهى إليه الزعامة العلمية والأدبية فى عصر محمد على وخلـــفائه من بعده حتى عصر اسماعيل •

المصادر والمراجع

ـ أدب المقالة الصحفية جـ ١ للدكتور عبد اللطيف حمزة ٠ ،

ـ أعلام الصحافة العربية للدكتور ابراهيم عبده ، مطبعة التوكل بالقاهرة ١٩٤٤ ٠

ـ الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى ، تحقيق محمد عمارة جـ ١ طبع بيروت ١٩٧٤ ٠

ـ تخليص الإبريز فى تلخيص باريز لرفاعة الطهطاوى ، طبع وتحقيق د ٠ محمود فهمى حجازى ٠

ـ حلية الزمن بمناقب خادم الوطن ، للأستاذ صالح مجدى مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٠٢٦ تاريخ ٠

ـ الخطط التوفيقية لعلى مبارك جـ ١٢ ٠

ـ ديوان رفاعة الطهطاوى ، جمع ودراسة د ٠ طه وادى طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ ٠

ـ ربع قرن مع رفاعة الطهطاوى د. أنور لوقا غبريال ، دار المعارف بمصر ١٩٨٥ ٠

ـ رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، نشر الخانجى بالقاهرة ٠

ـ رفاعة رافع الطهطاوى للدكتور جمال الدين الشيال طبعة ثانية ٠

ـ رفاعة الطهطاوى وقضايا عصره للدكتور يونان لبيب رزق ٠

ـ عصر محمد على ، لعبد الرحمن الرافعى ، طبع القاهرة ١٩٣٠ ٠

ـ العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ لمحمد عثمان جلال تحقيق عامر محمد بحيرى طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٨ ٠

ـ قلائد المفاخر فى عوائد الأوائل والأواخر لرفاعة الطهطاوى ، طبع القاهرة سنة ١٢٤٩ ٠

ـ المرشد الأمين للبنات والبنين لرفاعة الطهطاوى ٠

ـ مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب المصرية لرفاعة الطهطاوى ، مطبعة الرغائب بمصر ١٩١٢ ٠

ـ مهرجان رفاعة سنة ١٩٥٨ طبع المجلس الأعلى للفنون والآداب ٠

ـ نظم اللآلىء فى السلوك فيمن حكم ترنسا من الملوك لعبد الله أبو السعود طبع بولاق سنة ١٢٥٧ هـ ٠